عظة الأب ميخائيل عَوض

في القدّاس الإلهيّ من أجل الراقدين على رجاء القيامة

كنيسة مار الياس– عين الصفصاف

٢٠١٧/٢/٢٣

باسم الآب والابن والرّوح القدس، الإله الواحد، آمين.

إخوتي الأحبّة،

المجد لله، دائمًا لله.

في هذا الأسبوع، أسبوع الموتى المؤمنين، يتلو الرّهبان ثلاثيّة للموتى المؤمنين، إضافةً إلى صلاة النّياحة. وقد شاءت العناية الإلهيّة أن يكون هذا الخميس من أسبوع الموتى، الخميس الأخير من الشّهر، الّذي نحتفل به كالعادة مع جماعة "أذكرني في ملكوتك"، بالذبيحة الإلهيّة من أجل أمواتنا المؤمنين.

في هذا الإنجيل الّذي تُلِيَ على مسامعنا، يتكلّم يسوع عن أعمال الرّحمة الّتي على المؤمن القيام بها تجاه إخوته البشر. في الأحد الماضي، تُلِيَ على مسامعنا، النّصّ الإنجيليّ التّالي:"كنْتُ جائعًا فأطعمتموني،كنْتُ عطشانًا فسقيتموني، كنْتُ غريبًا فآويتموني، وعريانًا فكسوتموني، ومريضًا فعدتموني، وسجينًا فجئتم إليَّ." (متّى ٢٥/ ٣١-٤٦).

حين حُشِدَت جميع الأمم أمامه في اليوم الأخير، سألهم الربّ عن أعمال الرّحمة الّتي صنعوها في الأرض مع إخوته البشر. فكافأ الربّ كلّ مَن أحسَنَ الصَّنيع قائلاً: "تعالوا إليّ يا مباركي أبي، رِثوا الملكوت المعدّ لكم من قَبلِ إنشاء العالم"، وأَبعَدَ عنه كلّ الّذين لم يُحسنوا الرَّحمة إلى إخوته الصِّغار، قائلاً لهم: "اذهبوا عنّي أيّها الملاعين، إلى النّار الأبديّة المعدَّة لإبليس ولملائكته". وحين اعترض الّذين تلكَّؤوا عن صُنع الرّحمة على تلك العقوبة كونهم لم يروه في العالم، أجابهم الربّ قائلاً إنّ كلّ ما فعلوه لإخوته الصِّغار، فله قد فعلوه؛ وما لم يفعلوه لهم، فله لم يفعلوه. إنّ جُهنَّم هي العيش مع الشيطان، أمّا السّماء فهي العيش مع الله. يقسم يسوع البشريّة إلى قسمين: أوّلاً الخراف ويضعها إلى يمنيه، والجداء ويضعها عن يساره.

إنّ الإنجيل الّذي تُلِيَ على مسامِعنا اليوم، يُشكِّل تكملةً لإنجيل يوم الأحد: فالربّ يطلب منّا الانتباه إلى كيفيّة قيامنا بالصَّدقة تجاه الآخرين. على صدقَتِنا أن تتمّ في الخفاء لا في العلن، لأنّه عند هُتافِنا بالبوق للإعلان عن أعمال الصَّدقة الّتي نقوم بها، سنحصل على مكافأتنا من النّاس، وبالتّالي فلن نحصل على أَجرِنا من الله، ولكن إن قُمنا بذلك في الخفاء، فَمُكافأتنا ستكون مِن عند الربّ. إنّ الربّ يسوع يوجّه كلامه إلينا شخصيًّا وبطريقة مباشرة، إذ يستعمل ضمير المخاطب:"أنتَ"، قائلاً: "إذا صنعْتَ صدَقَةً فلا تعلم يسارك ما فعلت يمينك". إنّ الربّ يسوع لم يَسْعَ يومًا في أعماله مع البشر إلى نَيْلِ المجد الأرضيّ بل إلى تحقيق مجد الله.كذلك، نحن المؤمنين بالمسيح، علينا

الاقتداء به، والسَّعي في أعمال الصَّدقة الَّتي نقوم بها، لا إلى المجد الأرضيّ الزائل، إنّما إلى مجد الله، وخير الإنسان الآخر. إنّ السَّعي إلى مجد الله هو أمرٌ في غاية الصَّعوبة والدّليل على ذلك هو تصرّفات بعض المتبرّعين للكنيسة، إذ يطلب البعض منهم حفر أسمائهم على ما يُقدّمونه مِن تجهيزاتٍ ومَعدَّات للكنيسة. عندما يقوم الإنسان بأيّ عطاءٍ أو تبرُّع للكنيسة، عليه أن يتذكّر فَيضَ نِعَم الربّ عليه، فلا يتباهى بما يقدّمه للكنيسة، لأنّ ما لديه هو مِن خير الله عليه؛ وبالتّالي، عِوَض أن يحفر اسمه على ما يقدّمه ليُخبِر الجميع بما قام به، فليحفر طِلبةً أو تضرّعًا لله، على سبيل المثال: "أذكُر يا ربّ جميع محبّيك". إنّ قيام الإنسان بعملِ صدَقَةٍ أو رحمةٍ مع الآخرين في العلن، يهدف إلى إظهار الإنسان ذاتَه وبَحثَه عن المجد الأرضيّ والحصول على المديح والتصفيق من الآخرين، وبالتّالي لا يكون الإنسان قد كَنَزَ له كنوزًا في السّماء إنّما في الأرض فقط، وهي لن تنفعه في الملكوت السماويّ. إنّ عمل الصَّدَقة يُشكّل إحدى الوسائل الّتي يلجأ إليها المؤمن ليعبّر عن حبّه لله من خلال الآخرين.

في هذا الإنجيل، يدعونا الربّ يسوع أيضًا لكي تكون صلاتنا في الخفاء، إذ علينا الدّخول إلى مخادِعنا للصّلاة إلى الله الآب، بحسب قوله لنا. إنّ الدّخول إلى المَخادِع يُشير إلى داخل الإنسان: إلى أفكاره، إلى أعماقه، إلى قلبه. إنّ الربّ لم يقصِد بالدّخول إلى المخادِع، عدم اجتماع المؤمنين للصّلاة معًا في داخل الكنيسة، إنّما قصَد بكلامه هذا دخول الإنسان إلى أعماق كيانه في أثناء الصّلاة، فالربّ الّذي يسكن في أعماق الإنسان، أي في الخِفيَة، هو سيجازيه على صلاته علانيةً. إنّ الصّلاة لا تكون بكثرة الكلام، لذا يدعونا الربّ إلى عدم الإكثار من الكلام في أثناء الصّلاة، كما يفعل الوثنيّون، فدعوة الربّ لنا هي إلى كثرة الصّلاة لا إلى كثرة الكلام. إنّ بعض المؤمِنين عند سماعِهم كلام الربّ هذا، يتوقّفون عن تلاوة الورديّة إذ يعتبرونها أنّها كثرةُ كلامٍ، وهذا أمرٌ خاطئٌ تمامًا. إنّ جذور كلمة صلاة هي صِلَة، وبالتّالي فإنّ الصّلاة هي الصِلة الّتي تجمع الإنسان بربّه: فالله قد تنازل عن عرشه السماويّ، وانحنى على البشر ليتمكّن مِن التواصل معهم مِن خلال كلمتِه الإلهيّة. إنّ الصّلاة هي أوّلاً اتّصال الله بنا، ومن ثمّ اتّصالُنا به: ففي مرحلةٍ أولى، يتكلّم الله مع الإنسان، فيسعى هذا الأخير إلى تحقيق مشيئةِ الله من خلال أعمالِه مع الآخرين؛ وثمّ يتوجّه الإنسان بالكلام إلى الله من خلال ترداد، أوّلاً، الصّلاة الّتي علّمنا إيّاها يسوع، أي صلاة الأبانا، إضافةً إلى ترداده كلام الثّالوث الأقدس للعذراء مريم يوم بشارتها، أي السّلام الملائكي، ساعيًا إلى عيش تلك الصّلوات في حياته اليوميّة.

إنّ صلاة المؤمنين لأمواتهم تقوم على طلب المؤمن مِن الله أن يعامل بالعدل والرّحمة أحبّاءه الموتى. إنّ أعظم عملٍ يقدّمه المؤمِن لأمواته هو المشاركة في الذبيحة الإلهيّة لأجل راحة نفوسهم، فهو يقدّم لله الآبِ ابنَه الوحيد، ذبيحةَ تكفير عن خطايا الموتى. إنّ الذبيحة الإلهيّة الّتي نقدّمها لأجل موتانا لا تكون نافعةً لهم إلّا إذا كنّا في حالة النِّعمة، لأنّه إن كنّا في حالة الخطيئة فالهلاك سيكون مِن نَصيبِنا. إنّ تقرُّبَنا مِن سرّ المناولة المقدَّسة، يُشكّل لنا سببًا لدينونتنا، إن كنّا في حالة الخطيئة، إذ عِوَضَ أن يكون القربان المقدَّس سببًا في اشتعال الحبّ الإلهيّ في داخلنا، سيتحوّل إلى سببٍ لاحتراقنا في نار جُهنَّم. إنّ الخطيئة تُميت المؤمِن، وبالتّالي لا يستطيع الإنسان المائت بسبب الخطيئة أن يُصلّي

للموتى، المنتقلين من بيننا، إذ يُحقِّق المثل الإنجيليّ القائل: أعمى يقود أعمى وكلاهما سيقعان في الحفرة، ألا وهي الموت الأبديّ. على المؤمِن أن يكون حيًّا بالنِّعمة الإلهيّة كي يتمكّن من الصّلاة لأمواته وكي تكون صلاته مفيدة لهم. إنَّ المؤمِن يحيا بالنِّعمة من خلال ممارسته الصّلاة والاماتات، ومن خلال المشاركة بالذبيحة الإلهيّة والتقرّب من أسرار الكنيسة باستمرار، وبخاصّة سِرّ التوبة. حين يكون المؤمِن في حالة النِّعمة، يستطيع التقرّب من الربّ والطلب منه أن يفيض رحمته الّتي لا تُوصَف على أحبّاء هذا المؤمِن، الموتى الّذين يذكرهم في صلاته، وسيستجيب الربّ له وسيرسل العذراء مريم والملاك ميخائيل إلى نجدة هؤلاء الموتى الذين هم في حالة التطهير، ويفيض عليهم مراحمه الوافرة، فيتمكَّنوا من الدّخول إلى المجد الأبديّ. إنَّ البعض قد يتشائم من ذِكر الموتى في القدَّاس الإلهيّ، غير أنّه يتوجّب علينا ذِكرهم، ففي كلّ ذبيحة الإلهيّة، تُخلَّص بعض النّفوس وتدخل إلى الملكوت السماويّ.

على المؤمن أن يُكرّس وقتًا من حياته للتفكير في مصيره بعد انتقاله من هذه الفانية. عندما يكتشف المؤمن أنَّه لا يستطيع تحديد ساعة موته، سيتغيّر نهجه في الحياة وسيقوم بكلّ أعماله الأرضيّة، كأنّه سيموت غدًا. على المؤمن أن يستعدّ قبل مشاركته بالذبيحة الإلهيّة، فيختبر الفرح الحقيقيّ، النابع من إيماننا بالمسيح القائم، الّذي يُولِّد فيه الرّجاء بقيامة الأموات. على المؤمِن أن يتمتّع برجاءٍ ثابت لا يتزعزع، فيُدرِك أنَّ لا شيء يستطيع أن يفصِله عن محبّة المسيح، لا شدّة ولا وجع، ولا اضطهاد ولا ضيق. وانطلاقًا من هذا الرّجاء، يستطيع المؤمِن أن يندم عن خطاياه الّتي ارتكبها في حياته، فيعود إلى الله من خلال سرّ التوبة. على المؤمِن أن يخصِّصَ وقتًا من ساعات نهاره ويكرِّسه للقائه بالله الثّالوث، ويشكِّل زمن الصّوم، فرصةً مؤاتيةً لذلك. إنّ الله أمينٌ، وهو ينتظرنا بشوقٍ، كي نلتقي به، فيُعبِّر لنا عن حبّه اللامتناهي من خلال وقت الصّلاة الّذي نكرِّسه له. إنّ الصّلاة هي لقاء الحبيبن: الحبيب الأوّل سماويّ وهو الثّالوث الأقدس، والحبيب الآخر أرضيّ، وهو الإنسان. إنّ هذا اللّقاء بين الخالق والمخلوق، يجب أن يُعطي ثمارًا، نكتشفها يومًا بعد يوم، من خلال تصرّفات الإنسان مع إخوته البشر.

فليكن هذا الصّوم، زمنًا مقدَّسًا، يكرِّس المؤمن فيه وقتًا للقائه بالله الثّالوث، فنكون على مثال يسوع الإنسان الّذي اتَّحد بالله الآب والرّوح في نهر الأردّن يوم عماده. وبعد معموديّته في نهر الأردّن واتِّحاده بالثّالوث، أصبح يسوع مستعدًّا لاختبار أربعين يومًا من الحبّ في الصَّحراء. إنّ السؤال الّذي يُطرَح علينا اليوم: أين نحن مِن صَومِ يسوع المسيح في البريّة، ومِن استعداده له من خلال اتِّحاده بالثّالوث؟ مع بداية هذا الصّوم، لنسأل الرّب أن يمنحنا النِّعمة كي يكون صيامنا على مثال صيام يسوع في الصَّحراء، كما نسأله في هذه الذبيحة الإلهيّة أن يرحم جميع موتانا. آمين.

ملاحظة: دُوِّنت العظة مِنْ قِبَلِنا بتصرّف.